

—

The Role of Western Algerian Tribes in Liberating Oran from Spanish Colonization



دغموش كاميلية*

جامعة حسنية بن بوعلي الشلف

k—milia@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/08/30 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة الدور المحوري الذي اضطلعت به قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من السيطرة الإسبانية خلال الحقبة الحديثة، من خلال تحليل أبعاد مساهمتها السياسية والعسكرية والاجتماعية. وتبرز أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى فهم ديناميات التفاعل بين القوى المحلية والسلطة العثمانية، من خلال استعراض أشكال التحالفات والآليات التي اعتمدت عليها القبائل في مواجهة التوسع الإسباني. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر التاريخية التي تناولت طبيعة هذه العلاقات وسياقها الجيوسياسي، بغية تقديم قراءة علمية معمقة لطبيعة التكامل بين المجهود المحلي والدعم المركزي في إطار مقاومة الاستعمار الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: قبائل الغرب الجزائري، وهران، السيطرة الإسبانية، التحالفات السياسية، العثمانيون، المقاومة.

Abstract:

This article aims to examine the pivotal role assumed by Western Algerian tribes in the liberation of Oran from Spanish control during the early modern period, through an analysis of their political, military, and social contributions. The significance of this research lies in its attempt to explore the dynamics of interaction between local forces and Ottoman authority, by investigating the

* المؤلف المراسل

forms of alliances and mechanisms employed by the tribes to counter Spanish expansion. The study adopts a descriptive-analytical approach, grounded in historical sources that address the nature and geopolitical context of these relations, with the objective of providing a comprehensive scholarly interpretation of the interplay between local initiatives and central support in the framework of resisting European colonial ambitions.

key words: Western Algerian tribes, Oran, Spanish control, political alliances, Ottomans, resistance.

مقدمة:

يُعد البحر الأبيض المتوسط فضاءً استراتيجيًا حيويًا بفضل موقعه الذي يربط بين ثلاث قارات كبرى، مما جعله مسرحًا لصراعات القوى الإقليمية والدولية عبر التاريخ¹، وفي هذا السياق، برزت الجزائر كعنصر محوري بفضل موقعها الجغرافي المتميز الذي منحها أهمية استراتيجية استثنائية²، وانطلاقًا من هذه النقطة احتل الاسبان مدينة وهران بحيث عانت هذه المدينة من ويلات الاحتلال الإسباني بعد سقوط غرناطة، وما ترتب على ذلك من هيمنة سياسية وعسكرية وتداعيات اجتماعية واقتصادية عميقة على السكان³. غير أن قبائل الغرب الجزائري لم تستسلم لهذه السيطرة، بل أظهرت قدرة كبيرة على المقاومة من خلال تنظيم جهودها المحلية وإقامة تحالفات استراتيجية مع السلطة العثمانية، ما جعلها عنصرًا حاسمًا في مسار تحرير المدينة.

وانطلاقًا من هذه المعطيات، تتمحور الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة حول التساؤل عن طبيعة الدور الذي قامت به قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من السيطرة الإسبانية؟ وكيف أسهمت تحالفاتها مع العثمانيين في تحقيق هذا الهدف؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي المدعوم بقراءة نقدية للمصادر التاريخية، بما يتيح تفسير أبعاد المقاومة وفهم تطوراتها في إطار الصراع الإقليمي.

وترتكز هذه الدراسة على مجموعة من الفرضيات، تتمحور أساسًا حول مدى مساهمة قبائل الغرب الجزائري في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، وأنّ التحالفات التي عقدتها مع السلطة العثمانية كانت عاملاً حاسمًا في تحقيق النصر، إضافة إلى أن التداخل بين الأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية كان له أثر واضح في توجيه مسار التحرير. كما تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف عدة، أهمها تحليل السياق التاريخي والسياسي للاحتلال، وتوضيح أدوار القبائل في المقاومة، ودراسة أشكال التحالفات وأثرها في إعادة التوازن الاستراتيجي في الحوض الغربي للمتوسط.

المبحث الأول

محاولات فتح وهران :

لم تكن وهران دار سلام و اطمئنان بل كانت خلال تلك المدة التي كانت تحت الاحتلال الاسباني مجال قتال و مناوشات، و مضى الشهر، و مضت السنة و مضى القرن، و المسلمون يحاولون استرجاع المدينة ،و لا يتركون لأهلها و لا لحاميتها راحة ،و الإسبان يتحصنون و يدافعون⁴ و من تلك المحاولات نذكر :

المطلب الأول: محاولة صالح رايس سنة 1556 م :

عندما أصبح الكونت دالكوديت حاكما عاما لمدينة وهران كتب : "الإسبان حكام هذه المدينة منذ سنة 1509 م ،و هم يعيشون في حالة حصار دائما ،كما أن المناطق التابعة للإسبان لا يمكنها أن تمتد مسيرة يومين " .⁵

كما كان الشريف السعدي ملك المغرب الأقصى قد استعاد فاس ،و دخل في مفاوضات مع الإسبان للحصول على عشرة آلاف إسباني مسلحين ببندقية الأركوبوس ،كما جاء في تقرير المبعوث الإسباني إلى فاس ميكال دي ليزكانو الموجه إلى الكونت دالكوديت حاكم وهران ،المؤرخ في مالقا يوم 22 جويلية 1555 م استقبل هذا المبعوث من طرف الشريف السعدي و من طرف ابنه الأمير عبد الله ،كما استقبل من طرف القائد المنصور بن بوغانم ،قائد بني راشد الذي كان قد انسحب من مدينة تلمسان ،و حسب التقرير المذكور فإن الشريف السعدي قد "ألح على تخريب المدينة (الجزائر) من الأساس" .⁶

أرسل السلطان سليم إمدادات إلى صالح رايس و ذلك حتى لا يترك الفرصة سانحة أمام الكونت دالكوديت لوضع التحالف الثنائي مع الشريف السعدي محل التنفيذ⁷. فأرسل مددا بحريا مؤلفا من أربعين سفينة حربية و ستة آلاف من الجند العثماني ،أضاف صالح رايس هذه القوة الجديدة إلى القوة الجزائرية التي بين يديه و تتألف من ثلاثين سفينة حربية و أربعة آلاف من الجند ،هذا إضافة إلى جيش جزائري من داخل البلاد الجزائرية ،و معظمه من أشاوس جبال جرجرة ،الذي كان يناهز العشرة آلاف رجل ،ساروا فعلا على طريق البر نحو الناحية الغربية ،بينما كان صالح رايس يتأهب للإفلاق على رأس العمارة البحرية ذات السبعين سفينة نحو وهران⁸.

وصل الأسطول العثماني إلى بجاية في جوان 1556 م ،و سار صالح رايس بسفنه إلى تامنغوست لينتظر وصول الأسطول هناك ،ثم يسير مباشرة نحو الغرب فلا يدخل العثمانيون مدينة الجزائر التي

كانت تعيش وباء الطاعون⁹، و لكن أصيب صالح راييس بالطاعون و توفي قبل أن يقلع في شهر جوان 1556 م¹⁰، عن عمر يناهز ال 70 عام ، و تتوقف الحملة مرحليا ، ثم أخذ بعد ذلك حسن قورصو زمام المبادرة لتكملة و مواصلة الزحف صوب وهران نظرا لاستكمال كل التجهيزات و الاستعدادات على أن تكون قاعدة التجمع بميناء مستغانم فيتجه نحوها برا بينما سلم قيادة الأسطول للقائد يحيى¹¹.

و عندما شرعا في مهاجمة حصون المدينة جاءتهما دعوة مستعجلة من البايبرايي (علج علي) لرفع الحصار و الالتحاق بقوات السلطان العثماني بالمشرق لمواجهة غارات أندري دوريا المدعم من ملوك أوروبا و البابا فرفعا الحصار و تخليا عن حصن رأس العين الذي حرراه فعلا¹².

المطلب الثاني: محاولة حسن باشا سنة 1563 م :

بعد الهزيمة التي لحقت بالإسبان في مستغانم و مزگران سنة 1558 م ، أرسلت إسبانيا إمدادات إلى وهران للقيام بخرجات تحفظ سمعة السلطة الإسبانية في الغرب الجزائري ، لقد وصلت إحدى هذه الخرجات إلى غاية سيدي سليمان ، على بعد (16 فرسخا¹³) جنوب وهران¹⁴، و في هذا الوقت الذي كان الإسبان يحضرون أنفسهم لمواجهة حصارا تركيا جديدا محتملا ، و في هذا الإطار أرسل الملك فيليب الثاني أربعة آلاف رجل على متن مجموعة من القطع البحرية أبحرت من مالقا ، إلا أن عاصفة عاتية وقعت يوم 19 أكتوبر 1562 م أغرقت 22 قطعة و معها أغلبية الجنود¹⁵.

ففي الخامس من شهر فيفري من سنة 1563 م ، خرج حسن بن خير الدين من مدينة الجزائر نحو الغرب يسوق بين يديه جيشا يتألف من 15000 رجل من رماة البنادق ، و 1000 فارس من الصبايحية يقودهم أحمد أمقران الزواوي ، و 12000 رجل من زواوة و بني عباس ، أما المؤن و الذخيرة فقد حملها الأسطول الجزائري الى مدينة مستغانم ، التي اتخذها قاعدة العمليات¹⁶ و في طريقه إلى مدينة وهران انضمت إليه العديد من القبائل¹⁷.

وصل حسن باشا أمام مدينة وهران يوم 15 أفريل و تمكن من الاستلاء على حصن القديسين بعد تحطيم جدرانها¹⁸، و في هاته الأثناء انضمت إليه القبائل المجاورة لمدينة وهران ، ثم بعد ذلك ركز الجيش العثماني هجماتهم على المرسى الكبير ، و بعد محاولات عديدة و التي باءت كلها بالفشل لاقتحام هاته المدينة¹⁹ ، و استبسل الجزائريون في الهجوم على معظم حصون المدينتين و دامت المعارك طوال شهري أفريل و ماي ، و في شهر جوان وصلت نجدات إسبانية ضخمة و اضطر حسن

بن خير الدين أن يرفع الحصار و ينسحب²⁰ ، ليشارك في الهجوم الضخم ضد فرسان القديس يوحنا الصليبين في جزيرة مالطا عام 1565 م مع البطل درغوث باشا²¹. وهكذا انتهت المعركة بفشل الحملة الجزائرية و انتصار الإسبانيين ، بواسطة ثباتهم البطولي ، و استماتتهم في سبيل الدفاع ، إلى أن وصلتهم النجدة المنقذة.²²

المطلب الثالث: محاولة سنة 1642 م و سنة 1675 م :

تذكر المصادر الإسبانية أن دون الفارودي بازان ، مركيز سانتا كروز واجه سنة 1642 م حصارا ضُرب على وهران برا و بحرا من طرف جيش يتكون من الأتراك و الأهالي ، غير أن الإسبان تمكنوا من دفع المحاصرين بعد خروجه قادها المركيز على رأس ثمانمائة رجل في الوقت الذي جاء فيه الدوق تورسي لنجدته على رأس 25 قطعة بحرية من جنوة²³ .

و في سنة 1675 م ، حين كانت وهران تعيش كارثة الطاعون الذي أتى على حوالي ثلاثة آلاف ساكن من سكانها ، سَير الإسبان في شهر جوان حملة نحو تلمسان بلغت أسوار المدينة ، فدفعها الأهالي و طاردوا جنودها إلى غاية وهران و المرسى الكبير ، دعم بابا حسن هؤلاء الأهالي بفرق من الإنكشارية ، فتحولت المطاردة إلى حصار للموقعين ، دام إلى غاية شهر جويلية ، و لما جاءت عمارة من قرطاجنة تحمل الإمدادات انسحب الأهالي و الأتراك²⁴ .

المطلب الرابع : محاولة الباي شعبان سنة 1686 م :

في سنة 1685 م قاد الحاكم الإسباني لوهران حملة كبيرة نحو الأقاليم المجاورة لمنطقة نفوذه ، و عاد مرفوق بحوالي ثمانمائة أسير و غنيمة ضخمة ، و لكن هذا الحاكم و قع في كمين نصبه له الأهالي في السنة الموالية فقتل هو و كل جنوده تقريبا²⁵ ، و في سنة 1686 م جهز الباي شعبان الزناقي ثلاثة آلاف فارس و ألف راجل يريد بهم الهجوم على مدينة وهران ، و خرج الإسبان للقائه بمثل هذا العدد و التقى الجمعان خارج وهران بمكان يقال له "كدية الخيار" و دارت رحى المعركة بين الفريقين و انتصر المسلمون على الإسبان و قتلوا منهم مائة و ألف رجل كما غنموا غنائم ثينة ، و استمرت المعركة ، تراجع الإسبان و المسلمون خلفهم ، إلى أن وصلوا إلى قبة "برج العيون" فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، و كاد المسلمون ينتصرون لولا استشهاد قائدهم الباي شعبان²⁶ ، و من ذلك اليوم أصبح الناس يطلقون على كدية خيار حي سيدي شعبان²⁷ .

يذكر الآغا ابن عودة المزاري هته المعركة بقوله: " فغزى رحمه الله وهران وطالت به معهم الحروب و اتصلت عليهم بدولته أعظم الكروب و منعهم من الخروج و ضيق عليهم إلى أن صاروا في أحوج المخرج ولازموا بيوتهم و الحصون ،و صاروا لا يفارقون الجواسيس و العيون إلى اليوم الذي استشهد فيه حصل لهم الفرج و تنوية و تنزيه . و من خبره أنه زحف لهم في نحو أربعة آلاف فيهم نحو الثلاثة آلاف فارس و زحف النصارى مع مرده العرب و شياطينهم من بني عامر و قيزة و غمرة و كريشتل و غيرهم في أزيد من ثلاثة آلاف فيهم ألف خيل و الباقي راجلة" ²⁸.

و يضيف قائلا: "و لما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب فجزّوا رأسه و علقوه بالباب و قد أخذ المسلمون الجثة و تركوا الرأس لما لم يقدرُوا على الرجوع إليه ،فرأى بعض النصارى بالليل النور يسطع عليه فأخبر بطريقهم ،و حينئذ بعثه للمسلمين ،فجعلوه مع جسده في الحين .. و يقال أن الذي قتله هو أحد المغطسين أبو نصايبية من النصاصيب الذين منهم كل ضالم و فاجر أحد بطون أولاد عبد الله من بطون بني عامر و قيل غير ذلك" ²⁹.

و في 22 جانفي 1688 م ،قاد ابراهيم خوجة ،أو دولة إبراهيم كما تسميه المصادر الإسبانية حملة على وهران و انظمت إليه أغلب القبائل المحالفة مع الإسبان ،بينما فرت قبائل أخرى إلى المناطق الجبلية تجنبا للخطر ³⁰، و ضيق عليها الحصار و نصب المدافع المختلفة في مواجهة حصونها لكن التهديد الفرنسي للجزائر ،و تضيق المارشال ديستري عليها حول الجزائر العاصمة إلى نقطة خطر ،فاسترجع الديوان قوى و آلات حرب إبراهيم خوجة ،استعدادا لمنازلة فرنسا . ³¹

المبحث الثاني

دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الأول سنة 1707 م :

ظلت وهران تحت الهيمنة الإسبانية، التي غيرت معالمها الإسلامية، و أصبحت بعد الاحتلال الإسباني لها عبارة عن مدينة ذات طراز مسيحي في شمال إفريقيا و فشلت كل محاولات الجزائر لاسترجاعها و إعادتها لأصالتها العربية الإسلامية إلى أن تولى إدارة الجزائر ،الداي محمد بكداش سنة 1118 هـ /1706 م و الذي تحمل مسؤولية طرد الإسبان منها ،و من المرسى الكبير ،و تحريرها بمساعدة صهره حسن أوزن ³².

و كان داي الجزائر قد توصل إلى اتفاق لإقامة السلم مع الإسبان في وهران و المرسى الكبير قبل تدخل مولاي إسماعيل في الغرب الجزائري، عندئذ اعتقد قادة وهران أن الوقت قد حان لجمع

الضرائب الدواوير المتخلفة عن دفع الضرائب و معاقبة دواوير أخرى لمقتل العديد من الإسبان، هكذا خرج حاكم وهران في حملة استولى فيها على مائة و خمسين شخصا من أهالي المنطقة الغربية عندئذ اعتبرت الجزائر العملية الإسبانية هذه إعلان حرب³³.

خرج الباي مصطفى بوشلاغم بجيش كبير سنة 1704 م من مدينة معسكر تجاه وهران لمحاصرتها، و قام الحاكم الإسباني بالمدينة بإجراء تعزيزات الدفاع و مقاومة الباي، و لكن و في سنة 1705 م أصبح الحصار فعالا و ازداد حدة في السنة الموالية و خلال تلك الظروف قام حسين خوجة داي الجزائر، بعد ثورة اليولداش عليه بإنزال جيوشه على المدينة، خاصة بعد أن تراجعت مداخيل بايلك الغرب المخصصة لخزينة الدولة من مختلف الموارد المهمة³⁴، و قد سعى داي الجزائر حسين خوجة لفتح وهران سعيا محمودا، بيد أن بعض الصعوبات قد اعترضت سبيله، خاصة من قبل أربعة يولداش و محمد بكداش الذي أصبح في مكانه على هرم السلطة في 4 مارس 1707 م، و أول ما قام به كان إرساله الداى المخلوع إلى بايلك الشرق مع كامل أفراد أسرته، و قد وقع هذا الداى الجديد ضحية انتقام الداى السابق الذي كان قد نفاه إلى طرابلس الغرب، و الذي عاد من منفاه بغية الثأر³⁵.

لقد عرف بايلك الغرب عهدا جديدا مع مجيء الباى بوشلاغم سنة 1700 م حيث قام سنة 1701 بنقل مقر البايلك من مازونة إلى معسكر و ذلك لعدة أسباب، منها كون بوشلاغم يبحث عن مقر يتوسط البايلك، حتى لا تبقى قبائل الجنوب تعيش في تمرد و عصيان دائم و رفض مستمر لدفع الضرائب كما قام بعدة حملات ضد هذه الأخيرة فيما بعد من أجل إخضاعها³⁶.

و كان باي الغرب مصطفى بوشلاغم ممعنا في مناوشة الإسبان عاقدا العزم على استخلاص وهران منهم فوجد من محمد بكداش أذنا صاغية، ووجد من الخزناسي، وزيره و صهره، أوزن حسن نعم المعين على تنفيذ ما اعتزم القيام به و أخذ القوم يستعدون لتحرير وهران، و أرسلوا إلى كل الجهات الجزائرية يستحثون القوم على الجهاد، و في هذا الصدد يقول الشيخ أبو زيد عبد الرحمن في شرحه للقصيدة الحلفاوية: "فإن الناس جاءوا إليه من كل فج عميق، و انسلاوا إليه من كل قبيل و فريق... حتى إن الناس وفدوا إليه بخيامهم و عيالهم و اعتكفوا عليه الليالي و الأيام... إن طلبة العلم و حملة القرآن كانوا أشد الناس مسارعة لإجابة دعوة السلطان إلى هذا الجهاد المبارك... و كانوا بمحلة مستقلة عن غيرها، و كانت شوكتهم على الكفار أقطع من الرماح و مرماهم أنفذ من الصفاح، و

سور جندهم يشد بعضه بعضا ،و كل واحد منهم يرى موته قبل أخيه فرضا ...و كان عددهم يزيد تارة على الألف و ينخفض عنه إلى السبعمائة ...³⁷.

و يضيف الجامعي في رسالته المتعلقة بفتح وهران الأول، أنه رأى في بعض دفاتر الباي، أنه خرج على يد خليفة الباي مصطفى المسراقي نحو ثلاثة آلاف و ثلاث مائة قنطار من البارود ،و التحق به فرسان المخزن و متطوعين من شتى قبائل بايلك الغرب ،كل هذا إضافة إلى القوة المرسله من العاصمة الجزائر و عموما بلغ عدد الجيش الذي سيق لفتح وهران حوالي ثمانية آلاف جندي

38.

و قد كان محمد بكداش على دراية تامة بأهمية الیولداش في حفظ الأمن ،و أنه من الضروري إحكام سيطرته عليهم ،و قد كان حصار بوشلاغم لمدينة وهران دافعا له في ذلك حيث قام بتجميع كل القوات الموجودة " 50 خيمة "³⁹ و إرسالها تجاه الغرب تحت قيادة صهره أوزن حسن ،الذي عين خليفة للباي في 15 جوان 1707 م كما كان هناك قسم ثان من القوات بكل عتاها ،و التي لم تتأخر في اللحاق به تحت أسوار المدينة ⁴⁰.

أما الإسبان فقد استعدوا اعتمادا على الإمكانيات الذاتية ،إذ لم تكن إسبانيا قادرة على إنجادهم لأنها كانت تعيش حربا أهلية حقيقية في إطار الحروب الأوربية التي أعقبت وفاة شارل الثاني سنة 1700 م و المتعلقة بمن يتولى العرش الإسباني ،بحيث انقسمت إسبانيا بين أنصار شارل الثالث الهايسبورغي النمساوي و أنصار فليب الخامس البوربوني ⁴¹،و كما يقول جون ب وولف فإن الأوضاع في إسبانيا " قد خلقت وضعاً شجع على الهجوم على المدينة " ⁴².

لقد كان اسبان وهران في تلك الأثناء لا يزالون منذ مدة طويلة تحت قيادة الدون ب .إسبينوزا دو لوس مونتوروس (Don P.Espinosa de los Montoros)، كحاكم مستخلف ،ثم جاء بعده دون كارلوس كارافا (Don Carlos Carrafa) ،الذي استلم مهامه كجنرال لقيادة الدفاع الجديدة ،و قد وجد الإسبان أنفسهم محاصرين وراء أسوار المدينة ،و لم يكن لهم أي عون منتظر من الأهالي ،لأن بعض أتباعهم من بني عامر كانوا قد أصبحوا تحت إمرة بوشلاغم بعد سنة من الجهاد كما دعمت قبائل الدواير و العبيد المخزنتين صفوف جيش الباي ،و ساهمت في حصار وهران ⁴³،لذلك سارعت الحكومة الإسبانية إلى استبدال القائد "كرافا " بـ : "د .ميلشور دو أفلاندا " (D.Melchior de Avellaneda) ،في الأشهر الأخيرة للحصار ⁴⁴.

ابتدأ الجزائريون الهجوم أوائل سبتمبر 1707 م / 1119 هـ و أول أمر قاموا به هو محاولة هدم مجاز الماء الذي يرد من الخارج إلى وهران، و عليه برج العيون فدخلوا إلى ساحته من خندق حفروه و التحمت نيران أول معركة و كانت حامية الوطيس زحج فيها الجزائريون الإسبان عن "رأس الماء" و حفروا حوله الخنادق حتى لا يعود إليه العدو، و كان ذلك أول نصر في هذه المعركة⁴⁵.

ثم هاجم الأتراك حصن سانتاكروز الذي يشرف على كل من وهران و المرسى الكبير و لما استولوا عليه ركزوا نيران مدافعهم على الحصون و الأبراج الموجودة خارج المدينة⁴⁶، قام حسن أوزن بإعطاء إشارة الهجوم على أسوار الجهة الشمالية للمدينة، لكن قواته كانت في مرمى قذائف الإسبان مما أوقع خسائر كبيرة في صفوف قواته الأمر الذي استدعى تجنب مثل تلك الخطط العسكرية. أما الخليفة حسن، فقد قام بإقحام البيولداش في معركة تحت إمرته، مما جعل هجومه المضاد يصمد أمام دفاعات الإسبان، و يسمح له بالسيطرة على المدينة من خلال القضاء على سلاح المدفعية الإسبانية⁴⁷.

و في 21 يناير 1708 م استسلمت الحامية العسكرية الإسبانية للبرج الأحمر في سرية تامة، بعد أن فقدت كل ذخيرتها و أرهاقها الحصار المحكم و كانت في حدود 540 جنديا، أصبحوا أسرى لدى العثمانيين، بينما ما تبقى من الإسبان لجئوا إلى المرسى الكبير، و أعطيت الأوامر من إسبانيا بإرسال تعزيزات مهمة ذلك لأن سقوط وهران ولد شعورا مؤلما لديهم، لذا قدمت ميليشيات من المتطوعين من إقليم "ميرسيا" (Murcia)، و التي قامت بعملية إنزال في قرطاجنة عن طريق أسطول فرنسي لكن نيران مدفعية الجزائريين المتمركزة في الساحل، منعتهم من الدنو من حصن المرسى الكبير⁴⁸.

و كان حصن المرسى الكبير معرضا لكل أنواع هجمات الجزائريين برا و بحرا و تطلب ذلك مدة ثلاثة أشهر من أجل إحكام السيطرة التامة على الحصن، و في 06 أفريل تم فتح السور، نتيجة لنقص المؤن و الذخيرة على الحامية، قرر الحاكم الإسباني الانسحاب، بعد أن تحصل على ضمانات بإطلاق سراح الجميع و لكن المحاصرين تسرعوا و قاموا بقتل عدد منهم و الباقي أخذوا أسارى⁴⁹.

غنم الأتراك كل ما وجدوه في المدينة و المرسى الكبير و ساقوا أكثر من ألف و أربعمئة إسباني إلى مدينة الجزائر، كما وقع نهب الأهالي الذين كانوا يقفون إلى جانب الإسبان و أصبح هؤلاء موضوع تجارة بأمر من الداوي محمد بكداش⁵⁰، بحيث يذكر المشرفي بأن هؤلاء الأهالي: "انقسموا إلى ثلاث فرق فرقة منهم لجأت لحصن العدو و صارت تقاتل معه و تدافع بجهدا عنه و

الحكم في هذه الفرقة إباحة مالها و دم رجالها و البالغين من ذرايها لمن ظفر بهم من المسلمين لكونها ردا و أما الصغار من الأولاد فلا يقتلون و لا يكونون فياً للمسلمين و قد ذهب بعض الونازرة مع الإسبانيين بعد الفتح ،و فرقة منهم لجأت للمسلمين و صارت تقاتل معهم العدو ،غير أنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين و تأمره بالثبات و تواعده بالرجوع عنده إذا وجدت السبيل ،و الحكم فيها أنها فرقة الزنادقة ،يقتل كل من اطلع عليه منها ...،و فرقة منهم تابت لله تعالى و أنابت من مولاة العدو و تركت الإعانة له ظاهرا و باطنا ،و ندمت على ما صدر منها سالفا ،و الحكم فيها انها واحدة من جماعة المسلمين "51.

عقب فتح وهران الأول عمت الأفراح في كامل إيالة الجزائر بحيث يقول الشيخ أبو زيد في وصف هذه الأفراح التي تلت هذا الفتح المبين : " و لما أقبلت رسل البشائر و تليت صحف فتحها على الأمير ،و عم الخطاب بالفرح جميع المؤمنين بلسان التبشير أمر الأمير نصره الله (الداوي محمد بكداش باشا) بصنع وليمة الفرح و عيده و تسريح من كان في هم و عيده (أي جماعة المسجونين) و تزيين سوق البلاد و تجديده .. "52.

بعد فتح المدينة استقرت قبائل بني عامر بجبال تاسالة و منحت أراضيها المحيطة بمدينة وهران كمكافأة لقبائل الدواير و قبائل العبيد على الجهود المبذولة في هذا الفتح، بعد استرجاع مدينة وهران أصبح بوشلاغم بايا لبابليك الغرب و نقل مقره من معسكر إلى وهران⁵³ . يعتبر عهد الباي بوشلاغم أول فترة تاريخية يعرف فيها بابليك الغرب تحرره التام لجميع أراضيه ،و ذلك منذ مطلع القرن السادس عشر ،تاريخ احتلال وهران من قبل الإسبان ،هكذا تولى الباي سيادة البابليك بأكمله في هذه المرحلة (1708 - 1732 م) عرفت مدينة وهران انتعاشا ديموغرافيا ،كما عرفت التجارة قدوم تجار أجانب و إقامة قنصل فرنسي ،و شهدت المدينة استرداد كمية هامة من الأسلحة الفرنسية و الانجليزية⁵⁴.

كان وقع هزيمة الإسبان في وهران و المرسى الكبير ، و استيلاء الجزائريين على المدينتين عظيمما قاسيا و مؤلما لا في إسبانيا وحدها، بل في البلاد المسيحية جمعاء، و أخذ الإسبانيين منذ تلك الساعة يفكرون في الجولة الثانية ،و يستعدون لها ،و يستفزون شعور الإسبان و المسيحيين من أجل بذل النفس و المال ،للاخذ بالثأر من المسلمين و إرجاع وهران و المرسى الكبير ،كنقطة انطلاق لإسبانيا و للمسيحية جمعاء⁵⁵ .

و كان الإسبان قد فقدوا وهران و المرسى الكبير سنة 1708 م في ظروف الحروب الأوروبية التي أخذت طابع الحرب الأهلية في إسبانيا، فلم يكونوا قادرين على استعادة الموقعين سريعا، ظلوا ينتظرون الفرصة المواتية لذلك بعد معاهدة أوتريشنت الموقعة سنة 1713 م بين فرنسا و إسبانيا و إنجلترا و هولندا، المعاهدة التي وضعت حدا لحرب الخلافة، بدأ الملك الإسباني فيليب الخامس يحضر لإعادة احتلال وهران و المرسى الكبير مجددا، و لما أكمل استعداداته أصدر بيانه الشهير في 6 جوان 1732 م، البيان الذي عبر فيه عن إعادة احتلال المدينة و المرسى⁵⁶.

و بعد أيام قليلة من إعلان هذا البيان، كان أسطول الغزو مهياً للانطلاق من ميناء أليكانت⁵⁷ و كان يتكون من 25 ألف جندي من المشاة و 3 آلاف من الفرسان، تحت قيادة الكونت "مونتيمار" (Mortemart)، الذي كان يرافقه ضباط أكفاء هم أحسن ضباط إسبانيا في ذلك الوقت⁵⁸، تحسبا لمقاومة قوية أرفق الإسبان حملتهم بمستشفى يسع ألف مريض أو جريح و كل ما يلزم من ذخيرة و مؤونة تعرضوا في الطريق إلى رياح قوية عطلت وصولهم إلى السواحل الجزائرية إلى أواخر جوان، و في 28 منه رست سفنهم في الخليج الواقع بالقرب من رأس فالكون⁵⁹.

و كان الجيش العثماني يتراوح ما بين 10 إلى 12 ألف جندي من المشاة و الفرسان، من بينهم الأهالي⁶⁰ تحت قيادة مصطفى بوشلاغم، و بعد مناوشات متلاحقة تمكن قسم من الجيش الإسباني من دفع مشاة و خيالة الأتراك ثم تسلق الجبل المهيم على المرسى الكبير فاستقر بعين أو ينبوع هناك و في 30 جوان أنزلت المدفعية و الذخيرة بالقرب من المرسى الكبير، في هذه الأثناء أخبر القنصل الفرنسي عن طريق شخص يوناني الإسبان بأن الباي مصطفى قد غادر وهران في الليلة السابقة، سار الكونت مونتيمار إليها يوم الفاتح من شهر جويلية و دخلها فلم يجد فيها سوى خمسة شيوخ، لم يتمكنوا من الفرار و في اليوم الموالي استسلمت الحامية التركية في المرسى الكبير، و كانت تتكون من سبعة و تسعين إنكشاريا و لم يفقد الإسبان في حملتهم هاته سوى ثمانية و خمسين قتيلا و خمسة و ثمانين جريحا⁶¹، و يذكر أن داي الجزائر كور عبدي رفض إمداد مصطفى بوشلاغم في مواجهته للإسبان في وهران، لذا ثار عليه كبار رجال دولته و تركوه دون طعام مدة ثلاثة أيام حتى وفاته و خلفه صهره بابا إبراهيم⁶².

غادر الكونت دي مونتيمار مدينة وهران يوم 30 جويلية إلى المرسى الكبير و منه إلى مالقا و ترك قيادة المدينة و المرسى الكبير للمركز دي سانتا كروز، و في هذه الأثناء وصلت إمدادات الداي التي

كانت تتكون من ألفي رجل يقودهم ابنه و جدت المدينة قد اخليت و الإسبان قد سيطروا عليها، عندئذ انضمت إلى قوات الباي .

و كان المسلمون عند انسحابهم من وهران قد تركوا بها كل مدافعهم، فلم يأخذوا معهم إلا الأسلحة الخفيفة و رابطوا في الجبال المخيمة على المدينة مضيقين عليها الحصار فلم يستطع الإسبان التحرك إلى الداخل ،و استمرت المعركة حامية الوطيس مدة سنة تقريبا ،ففي يوم 4 أكتوبر حال المجاهدون بين الإسبان و بين حصن سانتاكرز ،فما استطاعوا تموينه إلا بعد معركة حامية وخسائر كبيرة⁶³.

و في 21 نوفمبر نظم المركز دي سانتاكرز خرجة على رأس مائة رجل و مجموعة هامة من الضباط بهدف دفع الأهالي بقوة و تخريب خنادقهم التي منها كانوا يحكمون الحصار على المدينة استولى على ثلاثة مدافع من مدافعهم ،ثم لاحقهم غير أنه تردد أمام أعدادهم الغفيرة التي كانت تضم العديد من المشاة و أكثر من عشرة آلاف فارس ،انقلب الأهالي على الإسبان بقوة فقتلوا منهم عددا كبيرا و شتتوا شملهم فحلت الفوضى بينهم الأمر الذي جعل المركز و العديد من ضباطه يسقطون تحت ضربات الأهالي الذين لاذوا بالفرار إلى وهران ،لولا وصول فرق جديدة من إسبانيا في هذا الوقت بالذات لوقع مالا يرضاه الإسبان و قادتهم⁶⁴ .

و في الوقت الذي تواصل فيه حصار وهران من طرف الأتراك و الأهالي ،أرسل الداوي وفوده و سفنه إلى أقاليم الإمبراطورية العثمانية يوم 19 ديسمبر 1732 م لتجنيد مجموعات جديدة من الإنكشاريين ،و لكن رغم ما جنده الأتراك من أهالي و من جنود فإنهم لم يحققوا تقدما ضد الإسبان بحيث و في 10 ماي نظم المركز دي فيلا دراياس خرجة لفك الحصار المضروب على الموقعين الإسبانيين ،غير أنهم لم يتمكنوا من دفع المحاصرين و ذلك لأن بني عامر حلفاء الإسبان القدامى كانوا قد انظم بعضهم إلى الأتراك ،فلحققت المهاجمين هزيمة كبيرة ،فقدوا ثمانمائة رجل من رجالهم عندئذ اضطرت إسبانيا إلى خلع المركز و تعويضه بآخر اسمه فاليجوا⁶⁵.

و في سنة 1734 م هاجم بوشلاغم مركز العيون حول وهران بشدة و بعنف و وصل إلى أبواب المدينة و لكنه لم يتمكن من احتلالها⁶⁶.

عاد الإسبان إلى تكوين فرقة المغطسين سنة 1734 م ،و هي الفرقة المتكونة من الأهالي الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الإسبان ،ظل الإسبان يسيطرون على وهران و المرسى الكبير إلى ما بعد الثورة الفرنسية لكن حكمهم خلال القرن الثامن عشر يختلف عن حكمهم السابق ،فلم يعودوا قادرين

على تنظيم الغزوات إلى أعماق البلاد و غدوا يعتمدون في تموينهم على ما يأتي من إسبانيا عن طريق البحر⁶⁷، بحيث أصبح الأتراك يهيمنون على الأقاليم التي كانت تابعة للإسبان ، باستثناء الأراضي الواقعة في جهة سيق التي كان يزرعها أفراد حميان و سكان كريشتل و الأراضي الواقعة بين ساسل و وهران ، و التي كان يشغلها أفراد شافع و دواوير غمرة ، ظلت الوضعية كذلك إلى غاية الانسحاب الثاني و النهائي سنة 1792 م⁶⁸.

يقول فاليجو في هذا الخصوص : " أصبحنا الآن أقل أمن من قبل سنة 1708 م بحيث قبل هذا التاريخ كان الأهالي و الأتراك يعتبرون وهران كقلعة محصنة ، لم يستطيعوا الاستلاء عليها قبل ذلك التاريخ و لكن بعد استلاء الأتراك عليها ذهبت هذه الفكرة و تلاشت " ⁶⁹.

المبحث الثالث :

دور قبائل الغرب الجزائري في تحرير وهران الثاني :

في سنة 1779 م أصبح محمد بن عثمان- الذي لقب فيما بعد بالكبير - بايا لبايك الغرب و رغم الصعوبات التي واجهته المتمثلة في المجاعات و الأمراض خاصة الطاعون سنة 1786م و الكوارث الطبيعية بصفة عامة إلا أنه بذل جهودا خلدت اسمه ، بصفة عامة اتصف الباي بصفات القوة و الشجاعة ⁷⁰ إذ يذكر الخزندار الفرنسي الجنسية "تيدينا" بأن الباي محمد الكبير كان فقيها و ضليعا في القانون ، له قدرة على حسم أعقد القضايا في وقت وجيز جدا في حين أنها تحير أكبر القضاة المتنورين ⁷¹.

تمكن الباي بفضل حنكته العسكرية و خبرته الحربية أن يظفر بثقة جيشه و ديوانه و قبائل الغرب الجزائري و الحكم المركزي و يحقق انتصارات ضد القبائل العاصية و العدو الإسباني و أعوانه حتى صارت القوة و الغلبة أحد صفاته فكان ابناء عصره يعلمون في كل منازلة عسكرية يقوم بها الباي، أن الدائرة تكون له على غيره لثبوتها له في سائر المواطن ⁷².

هناك العديد من الأسباب أدت إلى تأخير فتح مدينة وهران ، أهمها تقاعس على مستوى الحكم المركزي بحيث أنه و بعد عودة الإسبان لوهران و المرسى الكبير حاول بايات الغرب الجزائري تحرير هذين الثغرين ، و لكن لم يكن هناك تنسيق مع الحكم المركزي بالجزائر ، إلى أن الباي محمد الكبير قد أدرك حقيقة هذا التهاون ، و أدرك أن البايات السابقين كانت تنقصهم قوة التنظيم و الإنفاق المالي على الجهاد و قوة العزم و الإقدام و كذا القوة العسكرية و التعبئة الشعبية ، بحيث أن

القبائل المخزنية يمكنها تجنيد العديد من المقاتلين ، و عندئذ لا يحتاج الأمر إلا إلى استنهاض الهمم على جميع المستويات ، و التخطيط لحرب شعبية منظمة ⁷³.

أما ابن زرفة فقد ذكر بأن تأخير الفتح ما هو إلا تقاعس عن الجهاد الذي فسره بأنه خلود أهل السيف إلى حياة الدعة و الأمان أي ضعف الفعالية القتالية لدى الجنود و الفرسان ، أما العامة أو القبائل المخزنية فلم تبال بوهران و المرسى الكبير و تنصّلت من مسؤولياتها ، فمن الناس من ترك الجهاد رغبة في الدنيا ، و منهم من جزع من القتل و الهلع و الإنفاق ، و منهم من كان يجهل ما في الجهاد من الثواب الجزيل ⁷⁴.

في بداية الأمر كان الباي محمد الكبير يقصد الثغر الوهراني بقصد الرباط أي الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا ، و يطلق على علماء الدين خصوصا الفقهاء المتصوفين على الأمكنة التي تنشأ في المواقع الحربية ، لحماية البلاد و حراستها من هجومات الأعداء ⁷⁵، و أصل الرباط في القرآن قوله سبحانه و تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ " ⁷⁶.

وقد ورد في فضل المراقبة والحراسة في سبيل الله أحاديث كثيرة : عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، و موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة ⁷⁷ يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة ⁷⁸ خير من الدنيا وما عليها " رواه البخاري و مسلم و الترمذي وغيرهم ⁷⁹ ، وعن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفُتَّان " ⁸⁰ رواه مسلم. ⁸¹

وفي هذا الخصوص أورد تيدينا بان الباي محمد الكبير كان يقصد وهران كل شهر رمضان من كل سنة فيقابل بمدفعية الحصون التي كانت تحلف قتلى و جرحى في صفوف جنوده ⁸² ، كما انه كان يستأذن الداوي و الديوان بمدينة الجزائر مرات عديدة لقتال الإسبان و اقتحام أسوارهم ، و لكنهم لم يسمحوا له بذلك و اكتفى في المقابل بمباشرة حرب استنزاف اعتمدت على رباط مؤقت في ضواحي

وهران تتخلله عملية نصب الكمائن و نسج المكائد للإسبان و المغاطيس الذين كانوا يشاركون الإسبان في شن الغارات و الهجمات على سكان ضواحي وهران⁸³.

استمر محمد بن عثمان محاصرا لوهران ،و مواليا حملاته الصادقة ضدها على رأس المجاهدين بصفة لا تكاد تنقطع ،و أرغمهم سنة 1780 م على قبول معركة خارج أسوار المدينة ،نكبتهم أثناءها نكبة عظيمة و والى أعماله بصفة مستمرة إلى يوم 14 سبتمبر 1784 م ،حيث تمكن من قطع مجرى الماء الذي يسقي المدينة⁸⁴.

توقفت حرب الاستنزاف إثر توقيع معاهدة الصلح في جوان 1786 م، عندئذ بادر الباي محمد الكبير إلى إخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي ،كما أخضع بعضهم في المخزن⁸⁵.

و في سنة 1786 م وقعت مناوشات بين القبائل العربية و الإسبان بضواحي وهران ،عندئذ قرر الباي حصار وهران ،دام هذا الحصار إلى غاية سنة 1791م⁸⁶ قام الباي محمد الكبير خلال هذا الحصار بجمع القبائل للرباط حول ضواحي وهران يوميا إلى غاية تحقيق الفتح⁸⁷،ووقع اختياره على مدير المدرسة المحمدية محمد بن عبد الله الجلاي فعينه رئيسا للرباط و عين له مساعدين هما القاضي الطاهر بن حواء و كاتبه الخاص -كاتب الباي -محمد المصطفى ابن زرفة الدحاوي⁸⁸ ، متخذاً في ذلك العديد من الإجراءات في أغلبها إغرائية أهمها : اسقاط المطالب المخزنية على المرابطين و تزويدهم بالعدة و الخيل و غيرها و تقسيم الغنائم على المرابطين⁸⁹.

اعتمد الباي في حصاره لوهران على بعث السرايا⁹⁰ دوريا و نصب الكمائن للعدو ،و في هذا الخصوص يذكر ابن سحنون الراشدي "...أن الأمير أيد الله رفعته و خلد منعه لم يزل منذ ولي يتحايل على الظفر بالكفرة و ينصب لهم المكائد و الخدع الشبيهة بالأشراك التي تنصب للكثير ليقبض، فتارة يوجه لهم المهرة بالسباحة في البحر فيبيتون من قدروا عليه منهم في يبيتهم و يأتونه برؤوسهم ،و تارة يرصد لهم الكمين قرب أسوارهم حتى يظفروا بهم ،و تارة تحمل عليهم طلائع جنوده فيختطفونهم ...و تارة يتخطفونهم من مسارحهم و محتطبهم و مزارعهم و مواضع اصطبيادهم برا و بحرا و محارسهم إلى غير ذلك"⁹¹.

منذ نهاية شهر أوت 1790 م ،و قع بمدينة وهران العديد من الهزات الأرضية ،توقفت حيناً في منتصف سبتمبر إلى غاية أول أكتوبر ،و تجدد في ليلة 8-9 أكتوبر 1790 م ،بشكل عنيف

،على الساعة الواحدة ليلا ،و قبل حدوث هذا الزلزال هبت عاصفة هوجاء ⁹² ، دام هذا الزلزال ثلاث دقائق ،ثم انقطع ليتجدد مرات عديدة يوم السبت ⁹³.

و قد ذكر ابن زرفة أن هذا الزلزال وقع "في جوف ليلة التاسع و العشرين من محرم سنة خمس و مائتين و ألف (1205 هـ) " ⁹⁴ ، بينما يذكر ابن سحنون أن " الزلزلة وقعت ليلة السبت الأولى من صفر سنة خمس و مائتين و ألف هجرية بعد مضي سبع ساعات و نصف من الليل " ⁹⁵. بلغ عدد ضحايا الزلزال سبعة آلاف (7000) قتيل ،و أربعة آلاف بقوا تحت الأنقاض ،كما بقي عشرون جنديا من فيلق في ثكنة القصبة القديمة في وهران ،و هلك الحاكم الإسباني للمدينة Nicolas Garcia (Don)و لم يعثر على جثته ،و تم تعيين حاكم جديد للمدينة يدعى (le Comte Gumbre Hermozo)،و تحطم أكثر من نصف المدينة ⁹⁶، كما التهمت النيران بعض السفن و أماكن أخرى و مما ذكره قائد الجيش الإسباني في تقريره للملك ما يلي :

"إن بعض الرجال الذين لا أخلاق لهم، من أصحاب الحياة السافلة (من إسباني وهران) قد اغتبنوا فرصة هذه الحادثة ،فأمعنوا في نهب الديار الغنية بصفة أفظع مما لو كان العدو هو الناهب و لم يبق للمستعمرين البائسين أي شيء مطلقا ،و رغم القسوة التي قابلنا بها هذه الأعمال اللصوصية و العقاب الصارم الذي أنزلناه بمرتكبيها ،فإن الأشقياء لم يرتدعوا أصلا و استمروا في أعمال النهب و السلب " ⁹⁷.

و لما بزغ الفجر هرع الأهالي إلى المرتفعات المجاورة لوهران يتربعون الفرصة لغزوها، نظموا هجمات ليلية على نقاط مختلفة غير أنهم لم يحققوا شيئا على الرغم من مقتل عدد كبير من الجنود الإسبان بفعل الزلزال فلم يبق منهم إلا حوالي 1500 جندي ⁹⁸.

و كان المابطون المحاصرون قد أطلقوا ألسنتهم بالأقوال المؤثرة ،و ردّدوا أخبار التاريخ و فسروا المرائي بالنصر على العدو و الظفر به ، و أظهروا للناس أن ما أصاب الإسبان هو غضب إلهي و هكذا اختلطت الناس بالعساكر و أوقدت النار في الرباطات و رؤوس الجبال مدة أيام فرحا ⁹⁹.

كتب الباي محمد الكبير إلى الجهات يستنفر الناس إلى الجهاد، فجاءوا من كل حذب ينسلون و أخذت كل قبيلة تعرض عليه عدتها و عددها ليعين لها الموضع الذي تنزل فيه، حتى اجتمع لديه نحو الخمسين ألف ¹⁰⁰، أما الوثائق الإسبانية فقد اختلفت في تقديرها للقوات المحاصرة ،فمنها من قدرها

بين سبعة إلى ثمانية آلاف مقاتل و منها بين عشرة إلى اثنا عشر ألف مقاتل ، و منها بين ثمانية عشر و عشرين ألف مقاتل ، و يبدو أن جميع هذه التقديرات فيها مبالغة .¹⁰¹

استأذن الباي محمد الكبير ،الداي محمد عثمان في إحكام الحصار على القاعدتين و مناوشة حاميتيهما " فجاءهم في جند عظيم عرمرم شديد البأس يحتوي على نحو الخمسين ألفا ،فظهر بذلك من قوته و بأسه و سطوته ما بھر به الكفار و أدهشهم و أذاودا منه خوفا على ما كان يحصل لهم عند سماع أخباره و مشاهدة آثاره "،و قد قسم الباي جنده فترك معظمه معه و أنزل الباقي مع ابنه عثمان و بعضه الآخر مع صهره محمد بن ابراهيم كل منهما في جهة بمحلة عظيمة ،مع الأول أهل تلمسان و أحوازها و قبائل من الأعراب كفليته و غيرهم ،و مع الثاني أهل مازونة و مستغانم و القلعة و أعراب الشرق¹⁰² ،أما الإسبان فقد تلقوا مددا عظيما من إسبانيا ،قوامه سبعة آلاف رجل من المقاتلين.¹⁰³

أعطى الداي محمد عثمان الأمر لباي معسكر محمد بمهاجمة وهران من جديد ،و عندما وصل إلى أسوار المدينة نصب عدة بطاريات للمدفعية على الضفة اليسرى لرأس العين ،و حصون "سان أندري" (Saint André) ،و "سان فيليب" (Saint Philipe) ،لكن الباي محمد تفاجأ بموسم الأمطار لذا عاد أدراجه إلى عاصمته معسكر ،و بعد شهر من المحاولات اليائسة تمكن من التموقع و العودة بدخول فصل الربيع إلى مدينة وهران ،حيث حاصرها طول مدة فصل الصيف سنة 1791 م ،و في يوم 23 جويلية 1791 م ،كان القتال قد بدأ بين جيوش باي معسكر من جهة و جيوش الإسبان من جهة أخرى ،و قد دام أكثر من ست ساعات ،و تمكن الباي محمد من تحطيم حصن "سان فيليب" ،بعد هجومين متتاليين ،و الذي سمح للمسلمين بأن يكونوا عند أسوار المدينة و قد حاول الإسبان من خلال فرقة حرس "والون" (Garde Wallones) بقيادة النقيب "تورسي (Torcy)" رد الهجوم بجيش قوامه ثلاثمائة جندي ،لكنهم فشلوا فشلا ذريعا حيث تلقى قائد الجيش تسعة جروح مختلفة ،و فقد مائتين و ستة و ستين جنديا من قواته¹⁰⁴ .

و في يوم 18 سبتمبر 1791 م قام باي معسكر بإعطاء الأمر للمسلمين بمهاجمة الإسبان بحيث تكبدوا خسائر كبيرة و طلبوا الهدنة التي وافق عليها الباي من أجل سحب الجرحى و القتلى من ساحة المعركة¹⁰⁵ و يذكر ابن سحنون في هذا الخصوص : " زحف بعض المسلمين يوم الخميس الثالث عشر صفر فأخذوا منهم برج العين ،ثم اشتغلوا عنه بنهب خشب خارجه و المشاجرة عليها لأنه —

أدامه الله — كان عودهم أن يدفع لهم الدراهم في كل ما أتوا به من لوح أو غيره.... واستشهد يومئذ من المسلمين جماعة وافرة و جرح ما يزيد على المائة أكثرهم من بني زروال ،فمن يومئذ سمي ذلك البرج ببرج بني زروال ¹⁰⁶، و هم قبيلة من الظهرة " ¹⁰⁷.

بعد هذا الفشل، بدأ الأهالي يشتغلون على طول خط التحصينات، يحفرون الخنادق ،و في 23 أكتوبر 1790 م ،بعد هدوء دام أسبوعا كاملا ،قصف جند الباي القوات الإسبانية بثلاثة مدافع و فجروا لغمين و كانت بطاريتهم تستحوذ على مواقع و معسكرات الإسبان و لكن طلقاتهم كانت غير مصوبة ¹⁰⁸.

ناد الباي محمد الكبير القبائل المرابطة بالتهيؤ للهجوم على الإسبان في وهران ،و أمرهم أن يتوجهوا ليلا فيبيتون بفناء وهران ،و لما ييزغ الفجر ،و يسمعون ضربة مدفع من جبل المائدة يقتحمون مدينة وهران و كلف ابنه عثمان بتقسيم البارود و الرصاص ،على العساكر ¹⁰⁹، و استمرت الهجمات ضد الإسبان طوال ربيع و صيف 1791 م و ظل المجاهدون يتقدمون رغم الدفاع الإسباني الشديد و احتدمت المعركة بين الطرفين أيام 3 و 9 من شهر ماي و في يوم 05 جويلية تقدمت إسبانيا بطلب الصلح من الداوي محمد عثمان باشا ،بعد أن ضاع كل أملها في أبريل سنة 1791 م ،لكن الداوي و هو على فراش الموت يعاني سكراته استمر في رفضه ،في كل مذكرة ما دام الإسبان لم يستسلموا في وهران دون قيد أو شرط ¹¹⁰.

خرج باي معسكر في الثالث من رمضان من مدينة معسكر، و توجه نحو سيق ،فمكث بها عدة أيام و جمع قواته ثم ارتحل إلى تليلات ،التي تبعد عن وهران مسيرة ضحوة ،ثم إلى الموضع المشهور بـ: مسولان حيث أصبح قريبا من وهران ،و قد كان قبل خروجه من معسكر قد أقام وليمة حضرها عدد كبير من الخواص و العوام ،و أرسل إلى المناطق البعيدة ،فأوتى بجميع أعلام أوليائها الأكابر كعلم عبد الرحمن الثعالبي و أبي مدين ،و أحمد بن يوسف ،و محمد بن عودة . كل هذا ليحضر بها الجهاد تيمنا و تبركا بها ¹¹¹.

قام الباي محمد الكبير بالقيام بالعديد من التدابير و الإجراءات لتنظيم جيشه ،حيث قام بجمع الطبجية و هم رماة المدافع و كذا البونباجية و هم رماة القنابل ،من العديد من المناطق من داخل بايلك الغرب و خارجه ،و قام بتسجيل هؤلاء المتخصصين العسكريين في سجلات ديوانه ،و عين كل واحد في موقعه و أمره بتفقد آله الحربية كما قام بتعيين رؤساءهم للاستعانة بهم عند الضرورة ¹¹²

كما قام بإرسال كاتبه أحمد بن هطال إلى المغرب لشراء البارود ، و بعث أيضا إلى ناحية زواوة من أتاه بكثير من البارود ، كما قام بجمع العديد من أرباب الصنائع من التجارين و الخراطين و الحدادين و صناع البارود من كل بلد أمكنه أن يجمع منها كالجائر و تلمسان و مستغانم و صناع بلده ، و ما في ملكه من النصارى ¹¹³، ثم بعث رسله إلى ناحية فجيج بالجنوب —على الحدود الجزائرية المغربية — لجمع حفرة الألغام تحت الأرض ، فقدم عليه مائة حفار فدفع لهم الكتّان الجيد و مائتين و ألف ريال ¹¹⁴.

عانى الباي في حصاره الأول لمدينة وهران من قلة الرجال المخلصين ، فكان النفاق و الجهاد في سبيل الغنائم متفشيا بين صفوف القبائل ، فرأى ضرورة حضور رجال يحاصرون وهران و يداومون على ذكر الله و لا يكون ذلك إلا بطلبة العلم و حملة القرآن ¹¹⁵، حيث " جهز الباي نحو الستة من الطلبة ألبسهم لباسا جيدا و دفع لهم عدة رفيعة و دراهم ووجههم يسيرون في البلاد القريبة يجمعون الطلبة و يرغبونهم فلم تمض إلا أيام قلائل حتى قدموا بنحو الأربعمئة طالب ، فبعث لهم بالأسلحة و كل ما يحتاجون إليه ، و لم يزل مددهم يتواصل حتى أربى عددهم عن الحد ، كل هذا و هو يوجه جميعهم بالأطعمة و السمن و الزيت و الفواكه و نحوها ، و بما استحدث من السلاح و البارود " ¹¹⁶ ، و في أواخر شهر ربيع الثاني 1205 هـ /الموافق لشهر ديسمبر 1790 م ، عاد الطلبة الستة إلى معسكر مصحوبين بأربعمئة طالب ، فوجههم الباي إلى المحلّ المسمى " رباط إفري " بضواحي وهران ¹¹⁷. أخذ عدد المرابطين حول مدينة وهران في تزايد مستمر ، بحيث قدر ابن زرفة عددهم خلال شهر جمادي الثانية 1205 هـ ¹¹⁸ ما يزيد عن الألفين ¹¹⁹.

إن اهتمام الباي بالرباط و قاطنيه كان متزايدا ، مما أنجر عنه تزايد عدد المرابطين يوما بعد يوم فكثرت الخيام و انتشرت المضارب ، فكانوا يشتغلون بقراءة القرآن و الفقه و النحو ، و لا يتكون ذلك إلا في أوقات القتال و بالليل يبيتون يتلون القرآن ، لا يتكونه إلا ساعتين من أوقات النوم ، و بذلك يصلح فيهم ما قيل في السلف الصالح رضي الله عنهم : " رهبان في الليل أسود بالنهار " ¹²⁰.

ظهر للإسبان مدى جدية الباي محمد الكبير في حصاره الثاني لمدينة وهران ، فقد نظم المرابطين وجمع المدفعية من حواضر بايلكه ، و استورد السلاح من المغرب الأقصى و إنجلترا ، و نظم المقاتلين المتخصصين في شؤون الحرب ، و أصلح الطرق الوعرة بين معسكر و وهران لجر مدافعه الخفيفة و الثقيلة إلى جبل المائدة و رباط إفري ، ففكروا في طرق باب المفاوضات مع الداوي محمد بن عثمان

حول قضية وهران التي علقت في صلح 1786 م ، فبعث الملك الإسباني كارلوس الرابع رسولا إلى مدينة الجزائر و اقترح على الداى :

-تحقيق الصلح بين إسبانيا و الجزائر بالكيفية التالية: تسليم مدينة وهران للباي مع الاحتفاظ بالمرسى الكبير لتمكين السفن الإسبانية من الإرساء بمياهه.

رفض الداى محمد بن عثمان و الباى محمد الكبير هذه الاقتراحات، فقد بعث الداى إلى الباى محمد الكبير بمراد الإسبان طالبا مشورته ، فأجابه بأنه من الأصلح عدم قبول هذا الشرط ، و أكد له بأنه يجب على الإسبان مغادرة إيالة الجزائر كليا¹²¹.

بعد هذا الرفض، أرسلت إسبانيا مبعوثا إلى الداى محمد بن عثمان باشا ، اقترح عليه هدنة لمدة شهر كامل على أن يكون آخر أجل للهدنة هو يوم 22 شعبان 1205 هـ / 25 أبريل 1791 م استجاب الداى و الباى لهذا الطلب ، و كتب الباى إلى الطلبة و سائر المجاهدين ألا يتعرضوا لهم بسوء مدة شهر و ألا يتركوا جدتهم في الاحتراس منهم و التيقظ لهم¹²².

قبل انتهاء مدة الهدنة ، قرر الملك الإسباني كارلوس الرابع اختيار استئناف القتال ، فأرسل المدد العسكري إلى وهران ، فاشتدت شوكة الإسبان¹²³.

وفي 18 رمضان 1205 هـ /منتصف ماي 1791 م ، ارتحل الباى محمد الكبير إلى موضع يدعى مسولان بين تليلات و وهران ،"و كتب يستنفر القبائل و الأعراش إلى الجهاد فأتوه من كل حذب ينسلون فنزل بهم قرب الجبل قبله الطريق الصاعدة إلى ايفري ،فانتشرت الأخبية و المضارب و القياطين و الخيم و مازالت الكتائب تتواصل و الجيوش تتراسل ،و المواكب تجتمع أعددها و الأبطال تنتظم أزواجها و أفرادها حتى جند جرار ،لا تصل لمنتهى طرفه الأبصار ،و في يوم الأربعاء بعده وصلته محلة الأتراك في نحو السبعين خباء فنزلت قرب منزله بما يقرب من المليون ،و في يوم الخميس بعده دخلها ،فكان ذلك من الأيام المشهودة التي بهت منها الكفرة على بعد مرآهم و ظنوا أن المسلمين وقعت بينهم فتنة ،عندئذ ركب الباى في جميع أهل عسكره لتلقيهم ، و قد صفوا له صفين من منزلهم إلى قرب منزله و أذن للناس في اللعب على الخيل فصاروا يأتون كراديس كراديس على خيولهم فيضربون مكاحلهم في دفعة و يرجعون فيأتي غيرهم حتى لا تسمع إلا وقع السنايك كالرعود و صواعق البارود متصلا بعضها ببعض " ¹²⁴ ، كما أمر ابنه عثمان بالنزول بمحلته و التي تتكون من جميع أهل تلمسان و أعرابها ،و محلته التي تخرج إلى فليته كل سنة ،و بعض قبائل الشرق إلى متسع

مطل على المرسى الكبير حذو الموضع المعروف بفيض ابن عطاء ليمنع أهل الجبل من خروج النصارى عليهم¹²⁵.

تحدد القتال يوم السبت 02 شوال 1205 هـ /بداية جوان 1791 م، و قام الإسبان بقصف جبل المائدة، و اقتربت سفن صغيرة آتية من المرسى الكبير، و أخذت ترمي المرابطين الذين اضطروا إلى التراجع عن الجبل¹²⁶، كما شرعت مدافع المسلمين في رمي الإسبان من الجبل في يوم التاسع و العشرين من شهر رمضان و أحدثت خسائر كبيرة في أبراج المدينة¹²⁷.

و في يوم 04 شوال 1205 هـ /بداية جوان 1791 م قرر الباي محمد الكبير إنزال المدفعية من جبل المائدة رفقة محلة ابنه عثمان، كما أمر الطلبة المرابطين بإفري النزول إلى السهل لتعزيز الصف الجهادي و إنشاء متارس للمدافع لمواجهة لبرجي العيون و الجديد¹²⁸.

و تجدر الإشارة إلى وجود بعض الأفراد من القبائل التي كانت تتعامل مع الإسبان أو المغاطيس أثناء هذا الحصار أصبحت تقاتل إلى جانب الباي و في نفس الوقت تقوم بإرسال التقارير و المعلومات إلى العدو الإسباني، و في هذا الصدد يذكر لنا ابن سحنون بأنه أثناء مهاجمة المرابطين لأحد أبراج مدينة وهران " خرج الكفار في الوادي بعد افتراق القتال فقتلوا من المسلمين ثلاثة و ردهم الطلبة، و كان السبب في ذلك أن بعض المنافقين من أولاد علي كان مغطسا و خرج فأمنه الأمير، فأتى يوم الجمعة مع الحراس و مازال يدنو من البرج إلى أن أغفل الناس و هرب إلى الكفار فأخبرهم بجميع أمور المسلمين و ذكر لهم أن حفرة اللغم في الوادي فخرجوا إليهم"¹²⁹.

في هذه الأثناء المطبوعة باشتداد القتال بين جيش الباي و الإسبانين، توفي الداوي محمد ابن عثمان باشا يوم الثلاثاء 09 ذوالقعدة 1205 هـ /الموافق لـ 12 جويلية 1791 م، عن عمر يناهز التسعين سنة بعد مرض الحمى الذي لازمه عشرة أيام، و قام مقامه حسن باشا الخزناجي، و قد استمرت حرب وهران في بداية حكمه لتدخل فيما بعد مرحلة جديدة، يطبعها بحث إسباني عن مسالك تفاوضية مع الداوي حسن و انهاء قضية وهران¹³⁰.

تقدم و كيل إسبانيا بمدينة الجزائر إلى الداوي حسن، طالبا منه الصلح و فق الشرطين التاليين :

-تعويض نفقات الباي الحربية مقابل إقلاعه عن حصار و حرب وهران و استدعى بحث شروط الصلح إقرار هدنة مدتها خمسة عشر يوما، يتشاور فيها أطراف القرار في الجزائر و إسبانيا، و قد وقع الاتفاق على الهدنة يوم السبت 28 ذو القعدة 1205 هـ /20 جويلية 1791 م و ينتهي

أجلها يوم السبت 12 ذو الحجة 1205 هـ / 09 أوت 1791 م ، و احتراماً لشروط الصلح أمر الداى حسن الباي محمد الكبير بالرحيل عن وهران و الدخول إلى معسكر ، فكان ذلك يوم 28 ذو الحجة 1205 هـ / 30 جويلية 1791 م¹³¹.

و قبل انتهاء مدة الهدنة، رفض الملك الإسباني دفع التعويضات الحربية للباي محمد الكبير ، و كتب إلى داي الجزائر يقول : "إني لا أدفع مالي في أمر لا أتحقق دوامه لي كيف و هو مجاور لمن لا ينأى عنه غير أني أدعوكم لأمر فيه النصف أسأل منكم أن تشرفوني بقبوله ، و هو أني أدفع لكم البلاد على الحالة التي تركها عليها المسلمون لما أخذناها منهم بمدافعها و أبراجها و لا أستثني من ذلك شيئاً" ¹³².

و كان جواب الداى حسن على رسالة ملك إسبانيا ما يلي : "... و لقد فهمنا أنكم تريدون اعلامنا بأنكم سوف تقومون برد قلعة وهران و التي كنتم قد أخذتموها منا سابقاً ... و ذلك مع إبقاء ما يسمى ببرج الميناء لديكم ... و لكن لو أعطيتونا برج الميناء المذكور لكان ذلك من تمام الإحسان .. لأن بقاء هذا البرج في يديكم قد يقودنا و يدفعنا حيناً من الأحيان أو يوماً من الأيام إلى الوقوع في النزاع مع أمير الوطن أو مع العربان المتمردين أو مع القبائل الجاهلة ... و لذا نرى من الأحسن و الأوفق و الأنسب هو أن يكون الكل في يدنا .. و كونوا على علم بأننا سوف نبني ان شاء الله هناك أكثر من مخزن و سوف يصبح هذا الميناء بذلك كسائر الموانئ التي تم فيها البيع و الشراء ... " ¹³³.

و بعد سلسلة من المفاوضات بين داي الجزائر و الملك الإسباني، كتب هذا الأخير في نهاية شهر ذو الحجة 1205 هـ / أواخر أوت 1791 م إلى الداى حسن يؤكد له أنه اختار نهائياً تسليم البلاد المحتلة على الصورة التي تركها المسلمون سنة 1732 م¹³⁴.

ابتدأ الإسبان في الانسحاب من وهران يوم 17 ديسمبر 1791 م ، و تم الجلاء نهائياً و سلمت المدينة للباي الذي دخلها على رأس المجاهدين دخول الفاتح المنتصر يوم 24 فيفري 1792 م¹³⁵ ، و ذكر أبو راس الناصري فقال : " ثم إن أميرنا الهمام الأنجد أتته البشارة الكبرى أوائل المحرم بأخذه البلد ، فكان ذلك اليوم عند المسلمين عيداً و من أيام البركة و السرور مشهوداً سعيداً و البشائر إلى كل ناحية ، ذاهبة بأن نصارى وهران عنها ذاهبة " ¹³⁶.

استشار الباي محمد الكبير العلماء في المغاطيس الذين بوهران ، هل يؤمنهم خوفاً من أن يذهبوا مع الكفار إلى بلادهم فيتنصرون أو يتنصر عقبهم ، فأشاروا عليه بتأمينهم فبعث إليهم كتاباً يأمرهم بالقدوم عليهم آمنين ، فبعثوا إليه يقولون له ابعث لنا بالأمان مع بعض المرابطين ، لتطمئن نفوسهم

فبعث إليهم بقاضي البلد عبد الله بن حواء و خطيب المسجد الأكبر أحمد و محمد بن فريجة ،فقدم معهم نحو الأربعين منهم و الباقون منهم من وعد بالقدوم بعد بيع أثاثه ،و منهم من كان مرتابا في الأمان ،و منهم من كان مرتابا في تسليم الإسبان لمدينة وهران فبقي ينتظر ما يؤول إليه أمرها ،و منهم من غلب على قلبه حب الكفرة فلم تطب نفسه بفراقهم¹³⁷ ، بالرغم من العفو الذي أصدره الباي محمد الكبير في حقهم ،فإن الكثير منهم فضل المغادرة ،بحيث غادرها حوالي 60 رجلا من هؤلاء الجنود يوم 10 ديسمبر ثم تلاهم حوالي 250 يوم 29 ديسمبر ،اتجهوا إلى سبتة¹³⁸ .

و ما يتعلق بتعمير المدينة، فقد جلب لها الباي محمد الكبير السكان من مليانة و المدية و تلمسان و معسكر ،و بعض المدن الداخلية الأخرى ،كما وفدت عليها أيضا مجموعات من قبائل الدواير و الزمالة و الغرابة لغرض ممارسة التجارة ،و لم يغفل الباي محمد الكبير توجيه الدعوة إلى سكان وجدة و فاس و مراكش حتى أنه أصبحت وهران مستقرا لبعض زعماء بني الأحمر ،كما قام بجلب الكثير من اليهود من مستغانم و معسكر و ندرومة و تلمسان بغرض بعث الحيوية و النشاط التجاري و العمراني لمدينة وهران¹³⁹ .

خاتمة:

إذن كان للقبائل و الأهالي في الجهة الغربية دور بارز في انتصار العثمانيين ضد الإسبان و إخراجهم من مدينة وهران ،و هذا التدخل العثماني في المنطقة عمل على توفير ضمانات الانتصار بمشاركة سكان المنطقة الغربية و إدماجهم في المعركة ،و قد أثبتت الأحداث في أكثر من مرة أن الإمكانات الذاتية المحدودة للعثمانيين لم تكن لوحدها كافية لمواجهة الوجود الإسباني و تحقيق انتصار حاسم و نهائي عليه ،في حين أنه كلما انضاف الجهود العسكري العثماني إلى الجهود المحلي للأهالي في مواجهات دار رحاها في هذه المنطقة ،فإن ذلك التكامل بين المجاهدين يكلل حتما بالنصر ،و هو ما تجلّى في عهد الباي محمد الكبير .

:Fernand Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de 1
Philippe II , T3,Armand Colin ,5 ed ,Paris ,1821,p 323.

²: أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني (926-1246 هـ /1519-1830 م دار الكتاب العربي ط 1 ، الجزائر 2009 ،ص16.

³: حسن الصادقي ،مدينة وهران و أعلامها في الكتابات المغربية ،عصور جديدة ،عدد 7-8 ،2012-2013 م ،جامعة وهران ص 189 .

- ⁴ : نفسه ، ص 405 .
- ⁵ : Boukhari Hammana ,Le premier siège Turc d'Oran 1556 D'après Diego Suarez et les historiens Européens Modernes ,Majallat Et-Tarikh , 1986 ,N 21 Alger ,p 9 .
- ⁶ : صالح عباد ،الجزائر خلال الحكم التركي 1514 - 1830 ، دار هومة ، ط2 ، الجزائر 2007 ، ص 80 .
- ⁷ : بليوري سيد أحمد ، الاحتلال الاسباني الأول لوهران و انعكاساته الاجتماعية السياسية و الاقتصادية أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة وهران ، سبتمبر 1985 ، ص 159 .
- ⁸ : أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 م-1792 م، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2007، ص 343-344 .
- ⁹ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 81 .
- ¹⁰ : يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا ، مرجع سابق ، ص 97 .
- ¹¹ : بليوري سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص 159 .
- ¹² : يحي بوعزيز ، موضوعات وقضايا ، مرجع سابق ، ص 97 .
- ¹³ : الفرسخ = ثلاثة أميال .
- ¹⁴ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 94 .
- ¹⁵ : Sandoval , les inscriptions d'Oran et de mers-el-kebir, traduit par Dr.Monnereau ,RA 1871,T 15, p 356 .
- ¹⁶ : أحمد توفيق المدني ، حرب ، مرجع سابق ، ص 356 .
- ¹⁷ : Léon Gilibert ,L'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissements des Carthaginois jusqu'à l'expédition du général rando en 1853 ,Furne et cie libraires-éditeurs , Paris ,1853 , p203 .
- ¹⁸ : Henri Garrot , Histoire générale de l'Algérie ,Imprimerie P .Grescenzo voutes Bastio Nord ,Alger , 1910,p 429 .
- ¹⁹ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 94 .
- ²⁰ : يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا ، مرجع سابق ، ص 98 .
- ²¹ : Ernest Mercier ,Histoire de l'établissement des Arabes dans l'afrique septentrionale ,L.Marle Libraire-éditeur ,Constantine ,1875 , p 351 .
- ²² : أحمد توفيق المدني ، حرب ، مرجع سابق ، ص 360 .
- ²³ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 139 .
- ²⁴ : نفسه ، ص 140 .
- ²⁵ : نفسه ، ص 144 .
- ²⁶ : محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحممية ، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ش و ن ت، 1981 ، ص 21 .
- ²⁷ : يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا ، مرجع سابق ، ص 99 .
- ²⁸ : ابن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخيار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق يحي بوعزيز ، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الأولى، لبنان ، 1990م، ص 229 .
- ²⁹ : نفسه ، ص 230 .

- ³⁰: صالح عباد، مرجع سابق، ص 145 .
- ³¹: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 406.
- ³²: Rachid Bourouiba, Oran Histoire Politique, S N E D, Alger, 1974, p 81 .
- ³³: صالح عباد، مرجع سابق، ص 150 .
- ³⁴: علي بن العيفاوي، مدينة معسكر و دورها في العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 41 .
- ³⁵: Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrional, T3, Ernest leroux, 1888, p 332 .
- ³⁶: Camile Kehl, Oran et l'Oranie Avant l'occupation française, B.S.G.O 1942, T63, p 37 .
- ³⁷: أحمد توفيق المدني، حرب، مرجع سابق، ص 425 .
- ³⁸: أبو زيد عبد الرحمن الجامعي، فتح مدينة وهران، نشر مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003، ص 22-23 .
- ³⁹: الخيمة العسكرية العثمانية، تضم 23 جنديا انظر في ذلك :
- Walsin Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence D'Alger, Lib de Charles Glosslin, Paris, 1840, Op Cit, p 180 .
- ⁴⁰: علي بن العيفاوي، مرجع سابق، ص 42 .
- ⁴¹: صالح عباد، مرجع سابق، ص 150 .
- ⁴²: جون ب وولف، الجزائر و أوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 375 .
- ⁴³: Rozzet et Carette, Algérie, 2 Ed, Bouslama, Tunis, 1980, p 250 .
- ⁴⁴: Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique, Op Cit, p 333 .
- ⁴⁵: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 427 .
- ⁴⁶: صالح عباد، مرجع سابق، ص 150 .
- ⁴⁷: Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique, Op Cit, p 235 .
- ⁴⁸: علي بن العيفاوي، مرجع سابق، ص 44 .
- ⁴⁹: Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique, Op Cit, p 336 .
- ⁵⁰: صالح عباد، مرجع سابق، ص 151 .
- ⁵¹: Abdelkader El Mecherfi, Notice Historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur Occupation d'Oran, Traduit par Marcel Bodin, R. A, N 65, A. Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1924, pp 219 -220 .
- ⁵²: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 432 .
- ⁵³: الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بابلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1993-1994، ص 22 .
- ⁵⁴: نفسه، ص 23 .
- ⁵⁵: أحمد توفيق المدني، حرب، مرجع سابق، ص 443 .
- ⁵⁶: صالح عباد، مرجع سابق، ص 156 .
- ⁵⁷: Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique, Op Cit, p 173 .

⁵⁸ : Ibid ,p 174.

⁵⁹ : صالح عباد، مرجع سابق ، ص 156 .

⁶⁰ :Grammont (H de) , Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830) Ernest Leroux , paris ,1887,Op Cit ,p288 .

⁶¹ : صالح عباد، مرجع سابق ، ص 156 .

⁶² :Henri Garrot ,Op Cit ,p 567 .

⁶³ : أحمد توفيق المدني، حرب، مرجع سابق ، ص 448 .

⁶⁴ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 157 .

: نفسه، ص 158 .⁶⁵

⁶⁶ : أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق ، ص 448 .

: صالح عباد، مرجع سابق ، ص 157 .⁶⁷

: نفسه، ص 310 .⁶⁸

⁶⁹ : Valléjo , mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de mers-el-kébir Ecrit dans les premiers jours de l'année 1734,R.A, volume 66, Alger 1925,p 353.

⁷⁰ : الواليش فتحة ، مرجع سابق ، ص 26 .

⁷¹ : أحميدة عميراي ، الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أمؤدجا) ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، 2009 ، ص 53 .

⁷² : ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي منشورات التعليم الأصلي سلسلة التراث ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973 ، ص 316 .

⁷³ : نفسه ، ص 112 .

⁷⁴ : ابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الرحلة القمرية في السيرة الحمديدية ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، الجزائر الجزء الأول ، رقم 3322 ، ورقة 07 (ط) .

⁷⁵ : المهدي البوعبدلي ، الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى ، مجلة الأصالة ، عدد 13 ، 1973 ، ص 20 .

⁷⁶ : سورة الأنفال ، الآية 60 .

⁷⁷ : الزوجة : بفتح الراء ، هي المرة الواحدة من الجميع .

⁷⁸ : الغدوة : بفتح العين ، هي المرة الواحدة من الذهاب .

⁷⁹ : الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، الترغيب و التهيب ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ط 1 ، المجلد 2 ، الرياض ، 2004 ، ص 519 .

⁸⁰ : الفُئان : و هما منكر و نكير اللذان يفتنان المقبور .

⁸¹ : الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، الترغيب و التهيب ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، ط 1 ، المجلد 2 ، الرياض ، 2004 ، ص 520 .

⁸² : أحميدة عميراي ، مصدر سابق ، ص 50 .

: بلبروات بن عتو ، الباي محمد الكبير و مشروعه الحضاري 1779 م - 1797 م ، شهادة ماجستير ، جامعة وهران 2001-2002 ، ص 114 .⁸³

⁸⁴ : أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ، مرجع سابق ، ص 487 .

- ⁸⁵ : أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، 1969، ص 17 .
- ⁸⁶ : يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدير (1780 - 1798) ، د . م . ج ، الجزائر 1993 ، ص 94 .
- ⁸⁷ : يحي بوعزيز ، دور العلماء و الرباطات في تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان ، مجلة دراسات مغربية ، عدد 1 ، 1988 ص 107 .
- ⁸⁸ : ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق ، ص 62 .
- ⁸⁹ : يحي بوعزيز ، دور العلماء ، مرجع سابق ، ص 108 .
- ⁹⁰ : السرايا : جمع سرية و هي طائفة من الجيش تتكون من خمسة إلى ثلاثمائة مقاتل مهمتها الإغارة أو ملاقات العدو .
- ⁹¹ : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 197 .
- ⁹² : Fey , Histoire D'Oran avant ,pendant et après la domination espagnole, Typographie Adolphe Perrier Editeur ,Oran , 1858, p 233.
- ⁹³ : Ipid , p 234 .
- ⁹⁴ : ابن زرقة ، م م و ج ، مصدر سابق ، ورقة 8 (ظ) .
- ⁹⁵ : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 211 .
- ⁹⁶ : P Clausolles , L'Algérie pittoresque ou histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours ,imprimerie de J B Paya éditeur Toulouse , 1845,p 199 .
- ⁹⁷ : Ipid , p 199 .
- ⁹⁸ : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 172 .
- ⁹⁹ : بلبراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 125 .
- ¹⁰⁰ : ابن سحنون ، مصدر سابق ، ص 213 .
- ¹⁰¹ : بلبراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 126 .
- ¹⁰² : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 220 .
- ¹⁰³ : أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة ، مرجع سابق ، ص 490 .
- ¹⁰⁴ : P Clausolles ,Op Cit ,p 199 .
- ¹⁰⁵ : Grammont (H de),Op Cit ,p 344 .
- ¹⁰⁶ : بني زروال : قبيلة من الظهرة ، سكنت أولا بقلعة بني راشد بمعسكر ثم طردهم الحشم ،فانتقلوا إلى ضواحي مستغانم ، و سمي برج العين باسمهم "برج بني زروال " لأنها أول قبيلة بادرت باقتحام هذا البرج .
- ¹⁰⁷ : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 213 - 214 .
- ¹⁰⁸ : Fey ,Op Cit ,p 245 .
- ¹⁰⁹ : ابن زرقة ، م م و ج ، مصدر سابق ، ورقة 42 (و) .
- ¹¹⁰ : Grammont (H de),Op Cit ,p 345 .
- ¹¹¹ : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 274 - 275 .
- ¹¹² : ابن زرقة ، مصدر سابق ، ورقة 56 (و) .
- ¹¹³ : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 247 .

- 114 : نفسه ، ص 248 .
- 115 : بلراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 138 .
- 116 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 235 .
- 117 : ابن زرفة مصدر سابق ، ورقة 65 (ظ) .
- 118 : الموافق ل : سنة 1790 م .
- 119 : ابن زرفة ، مصدر سابق ، ورقة 88 (ظ) .
- 120 : المهدي البوعبدلي ، الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى ، مجلة الأصالة ، عدد 13 1973 مرجع سابق ، ص 29
- 121 : بلراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 144-145 .
- 122 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 265 .
- 123 : بلراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 146 .
- 124 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 277 .
- 125 : نفسه ، ص 278 .
- 126 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 147 .
- 127 : نفسه ، ص 280 .
- 128 : نفسه ، ص 284 .
- 129 : نفسه ، ص 281 .
- 130 : بلراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 153 .
- 131 : نفسه ، ص 154 .
- 132 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 308 .
- 133 : يحي بوعزيز ، المراسلات ، مرجع سابق ، ص 149-150 .
- 134 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 309 .
- 135 : Léon Gilibert ,Op Cit , p 241 .
- 136 : أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ، تحقيق و تقديم محمد غالم ، ج 2 ، منشورات المركز الوطني للبحث في الأترولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، ط 1 ، وهران ، 2005 ، ص 115 .
- 137 : ابن سحنون الراشدي ، مصدر سابق ، ص 427-428 .
- 138 : صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 173 .
- 139 : بلراوات بن عتو ، مرجع سابق ، ص 170 .